في المحكمة الشرعية

صور جاهلية

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

رجل كهل معمم، له لحية وفي يده سبحة، دخل المحكمة ودخل وراءه مريدون له، ذوو عمائم، يتبعونه متخشعين ويلحظونه مكبرين، فوقف موقف المدعى عليه، وجلسوا من خلفه في مجالس المستمعين، وكان المدعي شيخا هماً ترعش يداه، وتضطرب رجلاه، ويزيغ بصره، ويتلعثم اذا تكلم لسانه ويفيض لعابه، وكانت دعواه أن هذا الكهل ابنه، وأن زوجته وهي أم المدعى عليه قد ماتت منذ شهرين، وهذا الولد قد وضع يده على تركتها كلها، فلا هو يعطيه حقه فيها فعل الرجل الشريف، ولا هو ينفق عليه انفاق الولد البار، فهو يعاب ... فسئل المدعى عليه ذو اللحية والسبحة، فقال: ان المدعي أبي ولكن له مالا فلا تجب عليّ نفقته، وأمي مطلقة منه فلا نصيب له في ارثها. فلما سمع الشيخ ذلك بكى بكاء محروق الفؤاد، واستنزل على ابنه غضب الله. اذ يعظ الناس ويأمرهم ببر الوالدين، ويسوق في ذلك الآيات والأخبار والرقائق، ثم يأبى الا أن يجمع على نفسه بين عقوق أبيه حيا، وأمه ميتة، ويضم الى ذلك كذبا وافتراء، ولا يرعى حق الأبوة، ولا يرأف بضعف الشيخوخة، ويصم أمه بوصمة الطلاق، وهي تشينها ان كانت حقا فكيف اذا كانت باطلا، وينسى الدين والمروءة، كل ذلك من أجل شيء من المال ماله به من حاجة، وما هو الى مثله فقير، ولكنه الطمع وحب الدنيا التي يزهد فيها، وقلة الأمانة التي يدعو اليها.

ونصحت المحكمة هذا (الواعظ ...) فما انتصح، وذكرته فما ادكر، ثم كانت النهاية أن خرج فاتراً يدنياه رابحا دعواه، يتبعه مريدوه وتلاميذه مكبرين موقرين، وخلف أباه الشيخ الراعش، يتلمس يداً تسنده ليخرج من المحكمة وفي عينيه الدموع وعلى لسانه اللعنات، وفي قلبه الحسرات ...

— ٢ —

امرأة عجيبة مستورة، على صدرها ولد، وفي بطنها ولد، تدعي على رجل أنه زوجها وأبو أولادها وأنه طردها من داره، ولم ينفق عليها، ولم يكلها الى منفق، والرجل من هؤلاء (الزكرت) الذين يسمون في مصر (الفتوات) حليق الخدين، مفتول الشاربين، عابس باسر، طويل الطربوش أسوده مائله، منتصب القامة، مرفوع الهامة، كأنه مقبل على صراع. فسألته المحكمة عما يقوله فقال، وقد صعر خده، وشمخ بأنفه: لست أعرف هذه المرأة! ... قالت المرأة: لست تعرفني يا أبا فلان؟ أهذه هي مروءتك وشهامتك؟ تنكر زوجتك، وتجحد ولدك، وأنت ترى طفلي وحملي، وتبيع عرضك وشرفك بعشرين فرنكا في اليوم تريد أن توفرها على نفسك، فتهدم بيدك بيتك. وتكتب بقلمك صفحة عار أهلك، وفضيحة أولادك.

قال: اسكتي يا امرأة، اني لا أعرفك، فسألتها المحكمة: ألم يسجل هذا الزواج في دفتر المحكمة وسجلات النفوس؟ قالت: لا ياسيدي؛ انه أبى أن يسجله، وتركه مكتوما لكي يضيعني. وانطلقت تنشج.

وأصر الرجل على الانكار، وأعيت المرأة الوسائل، وكادت المسكينة تغلب على حقها؛ واذا بطفل في الخامسة يلج قاعة المحكمة فيأخذ بيد أمه المدعية، ثم يرى الرجل، فيقبل عليه، ولكن الرجل يعرض عنه ويتجاهله، فيبكي ويصرخ: «ليش يا بابا، شو عملت لك يا بابا ...»

... ويعترف الخبيث ولولا ذلك ما اعترف!

— ٣ —

امرأة قروية برزة ذات جمال ادعت على زوجها الطلاق. فأنكر فكلفتها المحكمة بيان زمان الطلاق ومكانه — فقالت: إنه وقع في دار زوجي. قال المدعى عليه: في داري؟! قالت: لا، بل في دار الآخر. وتنبه القاضي والمستمعون، وسألها: ماذا قلت ويحك؟ قالت: زوجي الآخر. قال القاضي. وما الآخر؟ قالت: انه تركني وأهملني ورماني فتزوجت غيره. قال الرجل: لقد كذبت، لم أهملها ولكنها أحبته وهربت اليه. قال القاضي: وماذا صنعت أنت؟ قال: وماذا أصنع، أنه عسكري وانى أخافه.